

أضواء البيان

. @ 302 @

وممن قال بأن { المصافات } و { الزجرات } و { التذريات } في أول هذه السورة الكريمة هي جماعات الملائكة : ابن عباس ، وابن مسعود ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وقتادة ؛ كما قاله القرطبي وابن كثير وغيرهما . وزاد ابن كثير وغيره ممن قال به : مسروقاً والسدي والربيع بن أنس ، وقد قدّمنا أنه قول أكثر أهل العلم . .

وقال بعض أهل العلم : { المصافات } في الآية الطير تصفّ أجنتها في الهواء ، واستأنس لذلك بقوله تعالى : { أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطّائِرِ فَوْقَهُمْ صَافّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرّحْمَانُ } ، وقوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ لَهْمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطّائِرِ صَافّاتٍ كُلٌّ قَدَرٌ عَلامٍ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ } . .

وقال بعض العلماء : المراد بـ { المصافات } جماعات المسلمين يصفون في مساجدهم للصلاة ، ويصفون في غزوهم عند لقاء العدو ؛ كما قال تعالى : { تَفْعَلُونَ إِنْ اللّٰهُ يُحِبُّ الذّٰلِينَ يُقَاتِلُوكَ فِى سَبِيلِهِ مَافَاءً كَأَنَّهُمْ بُنْدِيَانٌ مَّرْرُوضُونَ } . .

وقال بعض العلماء أيضاً : المراد بـ { فالزجرات زجراً } ، و { مِنْهُ ذِكْرًا } : جماعات العلماء العاملين يلقون آيات الله على الناس ، ويزجرون عن معاصي الله بآياته ، ومواعظه التي أنزلها على رسله . .

وقال بعضهم : المراد بـ { فالزجرات زجراً } : جماعات الغزاة يزجرون الخيل لتسرع إلى الأعداء ، والقول الأول أظهر وأكثر قائلًا . ووجه توكيده تعالى قوله : { إِنْ لَّاهُكُمُ لَوَاحِدٌ } ، بهذه الأقسام ، وبأن اللام هو أن الكفار أنكروا كون الإله واحداً إنكاراً شديداً وتعجبوا من ذلك تعجباً شديداً ؛ كما قال تعالى عنهم : { أَجْعَلِ الْإِلَهَ إِِلَٰهًا وَاحِدًا إِنْ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ } ، ولما قال تعالى : { إِنْ لَّاهُكُمُ لَوَاحِدٌ } أقام الدليل على ذلك بقوله : { رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ } ، فكونه خالق السماوات والأرض الذي جعل فيها المشرق والمغرب ، برهان قاطع على أنه المعبود وحده . .

وهذا البرهان القاطع الذي أقامه هنا على أنه هو الإله المعبود وحده ، أقامه على ذلك أيضاً في غير هذا الموضع ؛ كقوله تعالى في سورة (البقرة) : { وَإِلَٰهُكُمُ إِلَٰهٌ

وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ { ، فقد أقام البرهان على ذلك
بقوله بعده متصلاً به : { إِنَّ